العودة إلى جباليا - شهادة من حسين، عضو فريق الأونروا

شباط 13 2025

بعد بدء سريان وقف إطلاق النار، يعود الأشخاص الذين نزحوا إلى جباليا، شمال قطاع غزة – كانون الثاني 2025. الحقوق محفوظة للأونروا، 2025

بعد بدء سريان وقف إطلاق النار، سرت مشيا على الأقدام من مخيم الشاطئ في غرب مدينة غزة إلى جباليا في الجزء الشمالي من القطاع. كانت الرحلة مرهقة، جسديا وعاطفيا. كنت قلقا بشأن ما سأراه في المكان الذي ولدت وترعرعت فيه، حيث عاشت عائلتي وأصدقائي. كنا نتوقع الدمار بناء على أصوات الانفجارات التي لا هوادة فيها والتي ترددت أصداؤها من جباليا لأكثر من 100 يوم، ولكن لم يكن هناك شيء يمكن أن يهيئني للواقع الذي واجهته.

بمجرد وصولي إلى مخيم جباليا، حاولت أن أتفقد منزل عائلتي المؤقت الذي كانوا يعيشون فيه بدلا من منزلهم الرئيسي الذي دمر في العملية العسكرية الإسرائيلية في أيار 2024. كانت المفاجأة أنني لم أجد أي شيء يشير إلى المنزل أو الشوارع. اختلطت جميع المنازل ببعضها البعض، واختفت كل ذكريات منزل العائلة والحي.

بعد بدء سريان وقف إطلاق النار، يعود الأشخاص الذين نزحوا إلى جباليا، شمال غزة - كانون الثاني 2025. الحقوق محفوظة للأونروا، 2025.

بدأت في التوثيق بكاميرتي. كانت المشاهد مروعة - دمار كامل. لا شيء بدا كما كان. رأيت الناس الذين نزحوا يعودون تدريجيا إلى المخيم، لكن الصدمة على وجوههم كانت واضحة. لم يتمكنوا من التعرف على الشوارع أو على منازلهم، فقد دمر كل شيء وسوي بالأرض. كان الوضع مزريا للغاية: لا ماء، لا طعام، لا صرف صحي، لا جدران - لا حياة. حتى الجلوس بين الأنقاض كان مستحيلا لأنه لم يتبق شيء يمكن التمسك به.

مع مرور اليوم، قررت بعض العائلات العودة إلى الملاجئ في مدينة غزة قائلة أن جباليا لم تعد صالحة للسكن. وبسبب عدم وجود بدائل، بقيت عائلات أخرى في جباليا، حيث عاشوا وسط ظروف لا يمكن تصورها: لا مأوى ولا طعام ولا ماء، محاطين بالركام والخيام المؤقتة.

بعد بدء سريان وقف إطلاق النار، يعود الأشخاص الذين نزحوا إلى جباليا، شمال قطاع غزة – كانون الثاني 2025. الحقوق محفوظة للأونروا، 2025

وعلى الرغم من التحديات، إلا أنني شهدت استجابة الأونروا السريعة من خلال توزيع الطرود الغذائية الطارئة على العائلات التي لم يكن لديها ملجأ آخر. إلا أن المهمة لم تكن سهلة على الإطلاق. لم تكن هناك وسائل مواصلات مناسبة، مما اضطرنا للسير على الأقدام لساعات للوصول إلى المناطق المتضررة. وفي بعض الأحيان، كنا نعتمد على مركبات الأونروا المعطوبة التي بالكاد كانت تعمل بعد 15 شهرا من الحرب. كانت الطرق مدمرة مما جعل التنقل شبه مستحيل. وغالبا ما كان الناس يتدفقون نحو توزيع المساعدات مدفوعين بالنقص الحاد في الموارد الأساسية.

كمصور فوتوغرافي، شعرت بالعجز الشديد. فشلت الكاميرا، أداتي الموثوقة لالتقاط الواقع، في نقل حجم الدمار والمعاناة. كانت المأساة والدمار اللذين شهدتهما يفوقان حدود أي عدسة. كان من المستحيل تصوير الألم والصدمة والقصص غير المروية المحفورة على وجوه الناس بشكل كامل. شعرت بأن كل صورة التقطتها غير كافية وغير قادرة على التعبير عن فداحة الأزمة.

بعد بدء سريان وقف إطلاق النار، يعود الأشخاص الذين نزحوا إلى جباليا، شمال قطاع غزة – كانون الثاني 2025. الحقوق محفوظة للأونروا، 2025

بعد بدء سريان وقف إطلاق النار، يعود الأشخاص الذين نزحوا إلى جباليا، شمال قطاع غزة – كانون الثاني 2025. الحقوق محفوظة للأونروا، 2025

وعلى الرغم من هذا الشعور بالعجز، إلا أنني أدركت أن دوري كان حاسما. فقد أكدت هذه التجربة المعاناة الإنسانية الهائلة والحاجة الملحة للدعم الدولي المستمر. فسكان جباليا بحاجة ماسة إلى المأوى والماء والغذاء والرعاية الصحية. ولكن قبل كل شيء، هم بحاجة إلى الأمل من أجل حياة كريمة ومستقبل أفضل.

وبعد ثلاثة أسابيع، تمكنت فرق الأونروا التي تعمل ليلا ونهارا من إصلاح مولد كهربائي لتشغيل مضخة المياه الرئيسية في جباليا. لقد كان المطلب الأساسي للناس هو الماء. أتذكر كم كانوا سعداء عندما تم تشغيل المضخة لأول مرة. لقد كان فريق الأونروا فخورا جدا بهذا الإنجاز وبتقديم المساعدة العاجلة للنازحين الذين دمرت منازلهم وأصبحوا بلا مأوى. إنني أشعر بعلاقة قوية وعميقة بين لاجئي فلسطين والأونروا، حيث لا يمكن لأي منهما أن يتواجد بدون الآخر.

أعضاء فريق الأونروا يوزعون المساعدات الإنسانية على النازحين العائدين إلى شمال غزة – كانون الثاني 2025. الحقوق محفوظة للأونروا، 2025

أعضاء فريق الأونروا يوزعون المساعدات الإنسانية على النازحين العائدين إلى شمال غزة – كانون الثاني 2025. الحقوق محفوظة للأونروا، 2025